حصاد السافانا

كان على منصور التسـلل مرة أخرى في طريقه للعودة، ولم تكن بنفس صعوبة الرحيل، إنما أشـبه بالعوم مع تيار شـديد في ليلة مقمرة. الطريق أقصر، السحب أقرب والصحراء أقل اتساعًا ورمالها مطفأة شحيحة، لا تعكس الكثير من نور السماء.

كان قد اتفق على تسوية جيدة مع مديره، حين وصلته الأخبار الأخيرة عن اشـتداد مرض أبيه. لكنه في النهاية حسم تردده واضطر إلى الرجوع، وكان يظـن أنه لن يحدث أبدًا. كان يدرك أنه أصبح وحده مسـؤولاً عن أخـين صغيرين. تذكر هيئتهما وبصق ترابًـا صحراويًا لم يلبث أن عاد إلى عينيه وأنفه، فالزوبعات مصاحبة له طوال الطريق.

دخل القرية لا يعرفه أحد، وإن كانوا يلوكون سيرته من حين إلى آخر. تمكـن من تذكُّر طريق البيـت الذي تركه كهفًا مسـقوفًا بالصفيح. المعالم تبدلت، فالعشش الخشبية انهارت وتحوَّل بعضها إلى بيوت صغيرة مزودة بدكاكين لا تبيع شيئًا. وقف قليلاً أمام الباب وحلقه الجاف يخمشه التراب

الأصفر. كان الزير ما يزال في مكانه القديم، فنهل منه الماء، ثم تجشأ وطرق الباب.

لم يتوقع أخواه قدومه بالفعل، لذلك لم يكترث فؤاد لعزم سامي مراسلته بشأن احتضار والدهم، لكنه لم يُخفِ اندهاشه حين رآه، حتى أنه احتضنه باشتياق بدا له حقيقيًا. كانا قد عادا لتوِّهما من المقابر ومعهما النسوة مُتَّشِحات بسواد باهت، والرجال مطرقون بما يليق بالمناسبة. سار بينهم كأقرب غريب عرفوه يومًا، منصور نفسه لم يشعر بالألفة نحوهم، لكنه رحَّب بنظراتهم الممتنة له. بطل فتح لهم أبوابًا ثابتة حين تسلل عبر الصحراء لأول مرة منذ سنوات. جلس وسطهم، ومن زاويته بالردهة راقب أخويه. لم يعتقد أنهما قد شبَّا هكذا. طال فؤاد وصار ضخمًا مثله، على عكس سامي الذي بقي ضعيف البنية.

ظل يلعق سقف حلقه بلسانه طوال العزاء، كان الترابُ الصحراوي ما زال عالقًا هناك، رغم الماء الكثير والبصق. لم يتوقع الناس عزاءً تقليديًا، خصوصًا بعد قدوم منصور، فترقبوا حديثه، لكنه لم يتكلم أو يُشِر لأي شيء. لم يكن محبًا لصحبة الناس، وزادته الغربة عُزلة، كما أن اجترار الذكريات فكرة مثيرة لغثيانه.

أرض القرية الترابية أبقت جراح حلقه مفتوحة، وجعلته لا يكف عن لعقها بطرف لسانه. كان يرى التراب والدخان في كل مكان حوله، والبيوت

الرمادية العفنة تلاحقه. لم يرَها هكذا قديمًا، لكنه حين خرج لبلاد أخرى ملونة أدرك مدى عمق الرماد المصاحب لها.

انتهى العزاء وانـصرف الجميع أخيرًا. فأغلق منصـور الباب وتعمَّد إغلاق غرفة والده كذلك، كأنه يهرب من ذكراه ويتنصَّل من الحزن. تزداد الحياة التباسًا هنا، كأنها سلاسل متصلة لخيط وسط نسيج مُعقَّد. حين رحل كان ينوي العـودة، لكن في كل يوم صحا فيه هناك، بعيدًا، كان يدرك أن نيته لم تكن صادقة بشكل كافٍ لتكون وعدًا حتى لنفسه. فاكتفى بإرسال ما بقي منه ليسكَن صوته الداخلي من وقت لآخر.

جلس متوسـطًا أخويه مشحونًا بخيالاته. يسـألهما عن أحوالهما. كان فؤاد يرد باقتضاب بينما انطلق سـامي في الحديث. وبعد جلسات مصغرة بينهم قال لهما إنه لن يضره شيء إن رحلا معه.

تـردد فؤاد في قراره، في الوقت الذي حسـم سـامي موقفه وأعلن أنه سيرحل مع منصور. لم يتبق لهما شيء في القرية، فلا أهل مقربون ولا حب مرتقب ولا سماء يتطلعان إليها، سوى دخان ثقيل يحوم حول رأسيهما.

بـدأ منصور في إعداد كل شيء لعبور الصحراء والتسـلل عبر الحدود من جديد. كان الأمر ثقيلاً على نفسه هذه المرة أكثر من قبل، ففي البداية غامر مُفعمًا برغبة قوية في نفض يأس حمله بين ذراعيه، فكان يتسـاقط منه

مع كل خطوة يخطوها في الاتجاه الآخر. عاد خفيفًا، لكنه الآن بدأ يشعر بوطأة الثقل تعود ثانية.

زاد الثقل مع مقاومة المسؤولين لـ"ظاهرة التسلل"، كما يطلقون عليها من كل منابرهم. كانوا قد تحكموا بالفعل منذ زمن بالحدود البحرية وأغلقوا الشواطئ أمام الناس تمامًا، حتى أنهم منعوهم في بعض المناطق من رؤية البحر نفسه. فكانوا يجلسون بجانب الجدران المرتفعة يستمعون لصوت الأمواج. وأصبحوا خبراء على دراية بأحوال البحر من صوته فحسب. وتطور الأمر معهم، فاستعاضوا بأسماء أصواته عن رؤية أمواجه ومشاهدة الزبد يجري فوق ساحله. كانوا يخبرون بعضهم بعضًا أن البحر ملتجا(*) اليوم، أو قد تسمع أحدهم يقول بلا اكتراث إن البحر تكوس(**) هذا الصباح، أو من المنتظر أن يغطغط(***) البحر كثيرًا هذا الموسم. يتظاهرون بمعرفتهم الكاملة عن أحواله وتقلباته، ويصحبون الصيادين المحظوظين بامتيازاتهم في جلساتهم، ليؤكدوا لأنفسهم أنهم لم يفُتهم شيء وأن الجدران لم تنجح في فصلهم عن الحياة.

إغلاق الحدود البحرية لم يكن بصعوبة إغلاق الصحارى بدروبها وممراتها وجبالها، وإن كان بقي بعض نقاط الفرار القليلة على السواحل، إلا أن نقاط

(*) اضطراب.
(**) جعل أعلاه أسفله.
(***) علت أمواجه.

الهروب في الصحراء ستكون أكثر، خصوصًا بوجود أبناء القبائل القديمة الذين ما زالوا يعرفون أسرارها جيدًا. لكن للمسؤولين هنا دومًا حلولاً وضوابط غير مطروقة، كمفاجآت حياتية تصدمك بوجهك.

كل ما كان عليهم هو إبقاء كل من هو على هذه الأرض بالداخل. لذلك كانت خطة حقول السافانا والغابات الكثيفة خطة صالحة ومطروحة بقوة على موائدهم المستديرة. من يصدق نزع حقول وأشجار وحيوانات وحياة كاملة من مكانها لغرسها في مكان آخر بعيد، كشريط حدودي عميق لمنع التسلل وتعقيده. بدا الأمر جنونًا كاملاً متوافقًا بلا ريب مع رداءة كل شيء هنا. وبدأ الحديث عن غابة لم توجد بعد، لكن لأن المسؤولين يريدونها بشدة فلا شيء قد يمنعها من الوجود.

لم يكد منصور يبدأ في الإجراءات والترتيبات بالفعل لرحيلهم جميعًا، حتى بدأت الصفقات، وسرعان ما جاءت حقول السافانا واستقرت بموطنها الجديد. تابع منصور وأخواه كل مستجد، كان يبصق التراب ويباشر الأمر مع المهربين. عرف أن الفخ نُصب بإحكام حوله، وأنه وقع بالفعل منذ أن فكر في عودته. لم يواسِه تسلل الكثيرين بعد نجاحه، أو انضمام آخرين للزحام أمام بيته ما بين مستحٍ وصفيق، يسألون عن كيفية الرحيل معه.

وبذلك بدؤوا يدفعونه رويدًا رويدًا ليكون وكيلهم أمام المهربين، والمتحدث باسمهم، والباحث عن حلول لعبور حقول السافانا والنجاة

مـن حيواناتها المفترسـة. لم يظن منصـور أن موت أبيه قـد يخفي له حياة كهـذه، لكنه فكَّر أنه في النهاية مضطر إلى خوض كل تلك المشـقة لإنقاذ نفسه وأخويه قبل كل شيء.

قـدَّم المُهـرِّب حلاً لم يبدُ مقنعًا لأحد، لكنه سـمعه مـن أحد صيادي السـنوريات، عرضه على منصور وقال إنه ليس أمامه طريق آخر. فأعلن منصور بعد مشاورات ومشادات أنه مستعد ليكون أول المُجرِّبين في مقابل أن يعـبر أخواه الحقـول دون مقابل. بصق المُهرِّب ومضغ التبغ بأسـنانه الأمامية ثم قال:

– فقط إن نجحت في العبور سالمًا.

وافق منصور ومضى لحجرته دون كلام، وعندما صعد إليه سـامي في المساء حاول مواساته لكنه عبّر عن قلقه من الخسارة. فبصق منصور قائلا إن الخسارات جميعها بنات زواني.

انتقلوا للبلدة الصغيرة على مشارف الغابات الجديدة، بلدة كانت دومًا مقصدًا للمتسللين في لياليهم الأخيرة هنا. انتشروا في فنادقها الفقيرة على دفعات حتى لا يلفتوا الانتباه. كانت المغامرة عظيمة هذه المرة، أعظم من عبور رمال الصحراء الجافة بصحبة البدو الرُحَّل، والانعطاف مع جبالها والشرب من آبارها وتجنب الذئاب والثعابين ولهيب الشمس.

صمتُ فؤاد فضَحَ رفضَه لمغامرة منصور، لكنه لم يحاول إثناءه عنها، لأنه يدرك تمامًا أنه لن يتراجع، كما لم يتراجع من قبل حين فرَّ من أبيهما وتركهما لحياة بعيدة. قديمًا، حين رحل منصور هكذا، شعر فؤاد باليُتْم أكثر مما شعر عندما ماتت أمه، وأكثر مما حزن حين زفر أبوه زفرته الأخيرة. لم يكن فؤاد قريبًا من أحد كما كان مع منصور، وكانا معًا حتى وقت متأخر يتسكعان على نواصي القرية، لكنه فوجئ كالجميع بأنها كانت ليلته الأخيرة. شق هذا صدره وزرع داخله حقدًا تجاهه لم يُشفَ منه قط.

أما سامي فكان حائرًا بين التوجُّس والحماس. إنه مثل أخويه لم يرَ غابة أو حقول سافانا، حتى أنه لا يتذكر تفوهه بكلمة تجمع ما بين حروف السين والفاء والنون من قبل. كما أنه -مثل الجميع كذلك- لم يشاهد أي حيوان مفترس في حياته. لكنه مأخوذ بشجاعة منصور وجرأته. كما رفعه هذا لموضع البطولة في وسط الجميع. إنه أخ لأول المتسللين عبر الصحاري وعبر غابات وحقول لا يعرفون عنها شيئًا. فتأكدت مكانته بين جموع المتسللين المرتقبين، أصبحوا يتركون له مكانًا في جلساتهم ويهتمون بحضوره ويقدمون له الشاي الصحراوي اللذيذ ويصمتون حين يتحدث. كان يتصنَّع الحكمة أحيانًا، وأحيانًا أخرى يحاول أن يكون خفيف الظل، لكنه لم يعرف أبدًا هل يضحكون لأنه مضحك فعلاً أم احترام لمنزلته الجديدة وسطهم فحسب. حاول ألا يهتم لكنه فشل، وأخذ يتقلب في

فراشــه طويلاً متســائلاً إذا كان اليوم قال نكتته بــذكاء أم أنه أخفق وبدا كأحمق، مجرد أخ أحمق للبطل الحقيقي.

كان النهار ما زال باكرًا حين وصل الصيادون. انقلبت البلدة أمام جيفة أســد هائل الحجم، كان محملاً على سيارة مكشــوفة من سياراتهم. عرف منصور ما عليه فعله، وهو ارتداء جلد الأســد بعد ســلخه فوق جسده، وحشر رأســه داخل دماغ الحيوان، ســيُنزِلونه على حدود حقول السافانا ويتركونه ليواجه مصيره. ومن هناك ينطلق عابرًا الحقول، ماشيًا على أربع لمدة يومين، وإذا حالفه الحظ قد يتمكن من الإسراع ويصل في يوم ونصف فقــط. كان عليه الدخول بالجلد طازجًــا قبل تعفُّنه وجفافه، لتظل رائحة الحيوان فيه ويضلل الحيوانات الأخرى.

وقف فؤاد وســامي في مقدمة الجمع يودعانه، بينما رمقهما منصور من دماغ الأسد بنظرة غامضة، وتمتم "اعبرا في أثري".

أشــاح فؤاد بنظره نحو الأفق ولم يرد سامي. كان منصور ضخمًا لكنه بدا هزيلاً داخل هيئة الأســد العملاق. مشى على أربع متوجهًا للسيارة، والســائق خلف عجلة القيادة يشــير إليه بالإسراع، فقفــز داخل صالون السيارة الخلفي، وابتعدا وزوبعة ترابية تلاحقهما.

وسط مساحة هائلة من سهول السافانا، تمطعت اللبؤات بدلال وأشبالها

تمرح حولها. بينما استرخت الأسـود على ظهورها. الأشجار قليلة حولها لكنهـا تفي بالغرض، يقف فوقها بعض النسـور وحـداءات. وفي الأفق تزمْزم الحمير الوحشية بجانب الجاموس البري.

لا تبتعد الحيوانات عن تلك المساحة، لأن لا حياة لها خارجها. فكلما توجهت شمالاً أو جنوبًا أو شرقًا أو غربًا، وكلما ابتعدت أكثر، لا تجد سوى رمال صحراوية جافة. فكانت السافانا كواحة مفترسة وسط قحط.

تقدمت لبؤة وردية الأنف زمرتها نحو بركة الماء، وانهالت تشرب بحرص خوفًا من التماسـيح. في الجوار، على مقربة منها بعدة أمتار، يسـير منصور مترنحًا، ولبدته منفوشة حول رأسه. نظرت إليه اللبؤات بأنصاف أعين، لكنهـا لم تتخذ ضـده أي إجراء، بدَت لـ منصور أنها تميل للاسـترخاء في هذا الصباح المشمس. فأسرع من خطواته مهتديًا بالشمس كما فعل كثيرًا كلـما ضل طريقه في مكان ما. كان يعرف أماكن الآبار جيدًا، يذهب إليها مسترشدًا بالنجوم، كما تعلم من البدو الذين قابلهم في رحلاته. لكنه تمكن من تقسـيم ما معه من ماء وطعام ليكفيه لثلاثة أيام تحسُّـبًا لأي تأخير في تلك الغابة. كان في حوزته ملابس كذلك، ربطها حول بطنه داخل كيس بلاسـتيكي حتى لا تتسخ بدماء الحيوان ولا تتأثر برائحته النتنة. كما علَّق سـكينًا صغيرًا وآخر أكبر حجمًا بجانب مؤنته حول وسـطه أيضًا. وبقي خفيفًا رغم ذلك يدفئه الجلد الساخن ويأخذ بتحذيرات أحد الصيادين،

لا ينظر في عين حيوان ولا يسرع الخطى. أمامه كانت الحقول منبسطة، ذهبية تتمايل الشمس فوقها. لم تكن تختلف كثيرًا عن رمال الصحراء اللامعة، لكن هنا الخطر متخفيًا بين الأعشاب الطويلة. فالصحاري رغم هيبتها لم تكن مخيفة لـ منصور كما هي السافانا.

في البلدة، لم ينم أحد بعد رحيل منصور. ولم يتبق لـ سامي أظافر أخرى ليقضمها. يفترش الجميع المقاهي القليلة المتناثرة في الأرجاء بانتظار رسالة تؤكد عبوره الحدود سالمًا ونجاح خطته. كان رجال المُهرِّب وراء الحدود مترقبين وصوله إليهم كذلك.

مر يومان حتى تلقوا رسالة بأنهم لم يعثروا على منصور بعد، ولا وجود لأثره على الحدود. اختفى ولم يصل ولم يعُد وأسف عليه الجميع. تذكره سامي في حديثهما الأخير معًا، وكيف بدا له يائسًا يبصق ويسب كثيرًا رغم حماسه لإنقاذ الجميع. لطالما رغب سامي بشدة في رؤيته محتدًا كفعل أخير يعيد إليه آدميته التي سلبها منه شعوره بأنه مميز. لكن حين قرر منصور العبور داخل جلد الأسد، عرف سامي أنه تجاوز حد البطولة منذ زمن، أدرك أنه حين تسلل وتمكَّن من إخراج رأسه من الوحل، وجد هناك ما قد لا يجده سامي أبدًا. بعد أيام قليلة من الحزن والتأرجح بين الخيبات أخبر سامي المُهرِّب أنه سيذهب وراء منصور بصحبة فؤاد، لعلهما يتمكنا من إنقاذه.

لم يصـدق فؤاد أن اختفاء منصور مجرد حادث، لم يصدق بطولاته منذ البداية. اعترض على مبادرة سـامي وقال إنه لن يذهب في أثر أحد. بهت سـامي لبعض الوقت، وفكر فيما مضى إليه فؤاد، وقد بدا له مقنعًا بعض الشيء. لكنه سأله ماذا سنفعل إن لم نعبر وراءه؟

انتظرا الصيادين أيامًا متتالية، وإمارات الإخفاق تخنق عنقيهما. وصل بعضهم أخيرًا وبصحبتهم جيفة ببر ضخم. كانوا سعداء بصيدهم وتباهوا به. فالنمور نادرة في الأسـاس ولا يجدها الصيادون بسهولة. قال المُهرِّب إن البر مناسـب أكثر لـ فؤاد لطوله الفارع وضخامة هيئته، ثم أرسـل في طلبه. وانتظر سامي وصول الصيادين الآخرين بجيفة أخرى ليعبر السافانا مع أخيه.

قبل سلخ جلد البر، ذهب فؤاد مع مجموعة من الشباب للمذبح السري ليراه. وقف صامتًا أمام جلال الجسد المسجىِّ. الجميع يهللون في المذبح، يشـدون أطرافه المحتفظة بسخونتها ويجذبون الرأس من الأذن. أحدهم شدّ شعر شاربه بقوة ليحتفظ بشعرة منه.

إلا فؤاد، باقٍ على صمته. كان ينظر مليًا إلى الجلد المخطط الجميل للغاية. اقترب أخيرًا منه وتصدر المشـهد. تحسـس برفق الشعر القصير البرتقالي ولمـس ببطن يده رأسـه الكبير. حيوان مكتمل البهـاء لم يرَ في مثله اكتمالاً وتمامًا. صعد فوق طاولة السـلخ برويَّة ثم احتضنه وبكى بشدة. توقفت

الصيحات. وحاول الجزار إبعاده، لكنه تمالك نفسه ورفض الابتعاد.

التفت باحثًا عن المُهرِّب الذي كان ينظر إليه بتهكُّم، دفع له ما تمّ الاتفاق عليه من أجل اصطياد الحيوان، ثم طلب المساعدة لنقله للخارج. استأجر سيارة وابتعد عن البلدة. قيل إنه لم يعبر حقول السافانا أبدا، قيل إنه ابتاع كوخًا صغيرًا على حدود البلدة وتمكن بمساعدة البدو من تحنيط النمر ويعيش برفقته وحيدًا مهووسًا بكماله. لم يهتم سامي بالبحث عنه. كان يرغب في أن يبقى أخًا للبطل، وبطلاً تاليًا له، وفؤاد كان ليدمر كل هذا، لذلك تجاهل حكايته وأعلن في مجلسهم الليلي أن فؤاد حر لكنه سيكمل مشوار منصور للنهاية.

ازداد عدد المُهرِّبين وصياديهم ومتسلليهم. وتزايدت قوائم الانتظار، وأصبح لدى كل مُهرِّب بطل كـ منصور يُحكى عنه، لكنه بقي ألمعهم كأب روحي نموذجي. كان أكثرهم حظًا هو من يحصل على جلد اللبؤة، إنها ملكة بحق لا يعترضها أحد إطلاقًا إلا في مواسم التزاوج، يكون العبور بجلدها أكثر صعوبة، لأن المتسلل يكون مُعرَّضًا لاقتراب الأسود منه لإغرائه. أما من لم يدفئ جيوب المُهرِّبين بماله، ارتعدت مفاصله وهو يتسلل في جلد فهد أو قطط برية ضخمة.

عادت الظاهرة تنتشر من جديد. وعادت اجتماعات القُواد بالحجرات المغلقة. قالوا:

"نقضي على حقول السافانا ونُصفِّي كل الحيوانات".

وقالوا:

"نعيدها لبلدانها الأصلية ونستعيد المال لفشل المشروع".

لكن في النهاية أعلنوا أنهم سيشـترون جلود الحيوانات من الصيادين مباشرة بأموال طائلة، أكثر مما يدفع المتسلل للحصول عليه.

اجتمع المهربون مع الصيادين ليناقشوا القرارات الجديدة. لم يتوصلوا لحلـول قاطعة. فالصيادون تُجَّار كذلـك، وجيوبهم متمردة دومًا، فبدأت حرب الصحاري. قطع المهربون طرق الصيادين، سرقوا الجيفات وهربوها لمذابح سرية ليحصلوا على الجلود ويرتديها المتسـللون الذين لا يضمنون سلامة العبور، وزادهم غضب الصيادين الذين لم يترددوا في اصطيادهم وتركهم في السافانا فريسة للحيوانات الحقيقية.

كان على سـامي التسلل وسـط تلك الحرب الدائرة. تعاظم التوجس بداخله، كان قلِقًا من فكرة اصطياده فيصبح مصدرًا للتهكم. لم يسخروا من منصور لأن للأبطال دائمًا ممحاة كبيرة في عقول محبيهم. أما هو، سامي، القصـير، كثير الكلام والنكات، الذي فشـلت مبادرتـه وهرب منه فؤاد وتدخـل المسـؤولون ليقضوا عليها، لم يكن في مأمـن من التهكم، وليس بعيدًا جدًا عن النسيان. في ذلك الوقت حقد على منصور الذي عبر كأسد

وسـط ظروف مواتية، جعلت من سيرته سـيرة شعبية تلوكها الألسن في كل مـكان، حتـى إن فُقد أو هـرب مثلما اعتقد أخوه، إلا أنـه بقي. لكنه أيضًا فكّر وجذبته الفكرة، إذا تمكَّن من العبور في ظل هذه الحرب الدائرة فسيكون ألمع من أخيه وأشجع منه. كان يفكر في كل شيء عدا أنه يود أن يُنسى تمامًا الآن.

أثناء تردده زاد سعر جلد الحيوان، حتى أن جلود القطط البرية أصبحت تفوق سعر جلد البر من قبل. لكن لم يمتنع المتسللون عن دفع الأموال على أمل إيجاد فرصة للعبور، ولم يتوقف المهربون عن قطع طرق الصيادين، ولم يكف المسؤولون عن عرض المزيد من أجل القضاء على الظاهرة.

حتى أصبحت المضاربات علانية. يبيع الصيادون الجلود للأعلى سعرًا أيًّا كانت الجهة. احتدم السباق. ودفع المُهرب سامي دفعًا لحقول السافانا داخـل جلد قطة برية، بعـد أن كانا اتفقا على عبوره داخل جلد لبؤة. قال له المُهرِّب "إن لم تعبر الآن ربما لن تعبر أبدًا".

"كل هذه الأسـود والنمور والفهود، كل تلك اللبؤات، وأتسلل في النهاية داخل قطة مذعورة؟! لكان حمارًا وحشيًا أكرم من هذا!"

لكنه انصاع كرهًا وأخذ بالنصيحة.

وسط تلك الهيستيريا الجماعية زاد عدد المتسللين الحمقى، وأصبح من

المألوف رؤية أسد يسير على قائميه الخلفيين فقط ولبدته منفوشة في الهواء. بعضهم طاردهم الأسود واللبؤات ولم ينجوا من مخالبهم.

لم يتابع أحد خبر سامي الذي سار تائهًا في السافانا في كل الاتجاهات وترك جلد القطة ثم توجَّه إلى سفح جبل كان يسد الأفق أمامه، وبقي عالقًا هناك. لم يعرف أن المصارف وضعت بندًا لأسعار جلود الحيوانات بجانب أسعار العملات الأجنبية، وأن المستثمرين ضاربوا في البورصة القومية، كان سعر جلد اللبؤة هو الأعلى، يليها جلد الببر، فتسابق الصيادون يتجولون شرقًا وغربًا للإيقاع بفرائسهم الأعلى سعرًا.

لكنه كان يراقب حقول السافانا من مكمنه في كهف في بطن الجبل. كانت الحمير الوحشية ما تزال تزمزم باطمئنان بجانب الجاموس البري. لا يهددها خطر سوى احتمال وجود تماسيح لم ترها بعد في البرك الصغيرة. لأن اللبؤات لم تعد تتمطع بدلال فوق العشب ولم يعد للأشبال وجود.